٢٢ الإمام يحيى الشبيهى شبيه رسول الله

الإمام يحيى الشبيهى هو ابن الإمام أبى القاسم الطيب، وينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب، والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم أجمعين.. وهو إلي جانب ذلك من آل بيت النبى عليه الصلاة والسلام. وقد جاء مصر مع مَنْ جاء فراراً من الظلم، وطلباً للآمان، وقد وجد هذا الأمان بالفعل فى مصر، ولذلك اختارها مكاناً يدفن فيه.

لقد سمع الكثير عن ذلك العصر المدوى بطبول الانتصارات، ورنين الأبواق العازفة، وصهيل الخيول الراجعة، وصليل السيوف البتارة.. باختصار سمع بعصر اتسم بأوج الفتوحات الإسلامية التى رفعت راية الإسلام من أسوار الصين شرقاً إلى تخوم الأندلس غرباً، كما اتسم بأريج الانتصارات العلمية أيضاً، هذه الانتصارات التى كان لها أكبر الأثر فى النهضة الأوربية فيما بعد، وهو تأثير واسع المدى، عميق الأثر، شمل العلوم كما شمل الصناعات، ولم يقتصر على الفلسفة، ولكنه امتد كذلك إلى الأدب بشتى فروعه، وإلى الفن، المعمار منه والموسيقى.

ومع هذه الصورة العظمية لدولة الإسلام هناك صورة أخرى مقابلة لها. لقد سمع أيضاً فيما سمع أن المنصور كان يتربص بجده الأكبر الإمام جعفر الصادق، ومن قبلهم بنى أمية. حيث كانت جماعات الزهاد تحبب إلى الناس الفقر، وتدعوهم صراحة وليس ضمناً إلى العزوف عن طيبات الدنيا بل والأكثر تدعوهم إلى عدم التفكير فى أحوالهم.. وقد شجع حكام بنى أمية هذه الجماعات ليصرفوا الناس عن التفكير فى استبدادهم وطغيانهم ويصرفوهم حتى عن محاولة المقارنة بين غِنَى هؤلاء الحكام وفقر المحكومين... وشجع بنو العباس هذا الاتجاه وعاضدوه.

وهنا رأى الإمام جعفر الصادق الجد الأكبر للإمام يحيى الشبيهى أن ما يفعله العباسيون ومن قبلهم الأمويون يزيد الأغنياء غنى والفقراء فقراً، وأنه ليست من الإسلام فى شىء، حيث يبدأ بإهمال الإنسان لنفسه، وينتهى بعدم اهتمامه بمصلحة الأمة، فلا يحاسب حاكماً، ولا يستوقفه أَمْرٌ فى الدولة معوج.. وبدأ فى مناقشة الداعين إلى الزهد قائلا: «الزهد كما أفهمه هو الاكتفاء بالحلال، لا التجرد من الحلال».

وهكذا كان العصر الذى لم يدركه الإمام الشبيهى، وإنْ كان قد سمع عَنه.. كان عصراً مفعماً بالغنى والمتاع، إلاَّ أنه مع ذلك كان مشوباً بالحنين إلى عدالة المسلمين الأوائل وصدقهم وورعهم.

رأى عدالة وصدق وورع كانت مطالبَ ضرورية لهذا العصر فى وجود آل بيت النبى ﷺ المطاردين فى الجزيرة العربية والعراق ومصر، وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية وبلدنها، لا لسبب، ولا لجريرة ارتكبوها، ولكن لخوف وَقَرَ فى قلوب بنى العباس، ومن قبلهم بنى أمية.. من التفاف المسلمين حول آلِ البيت ومحبتهم لهؤلاء الأشراف، وتقديرهم لمكانتهم منذ بعث محمد ﷺ.

إن هذا الالتفاف حول آل البيت، ومحبة وتقدير المسلمين لهم كان يمثل الخطر الأكبر لدى الأمويين والعباسيين مع أن آل البيت كانوا لا يطمعون فى جاه أو سلطان كما رأينا عند الكثيرين من أئمتهم، لكن ما العمل وقد مَثَّلَ إقبال المسلمين على آل بيت النبى وسواساً أو هاجساً لدى حُكام بنى العباسى، ومن قبلهم بنى أمية؟

وعاش الإمام يحيى الشبيهى هكذا كغيره. من فتية وشباب وكهول آل البيت مفعماً بالأسى، وجلال الذكريات، مع عظيم الشوق إلى العدل والحرية، فقد ينالون فى ظلهما حقاً صار مسلوباً. ولكن كيف الوصول إلى هذا الحق وقد أصر البعض أن يحتال على إخفائه بالحيلة والمكر حيناً، وبالقوة والقتل حيناً آخر؟.

لم يبق له إذن من حقائق الأشياء إلا حقيقة واحدة، هى أنه ينتسب إلى أشرف خلق الله، محمد ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها، والإمام على بن أبى طالب كَرَّم الله وجهه، وأنه حقاً وصدقاً الإمام يحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وأن أباه الإمام القاسم الطيب، العالمُ والفقيه المشهود له بالعلم والفضل.. وأن من بين أشقائه

السيدة كلثوم ـ أو كلثم ـ إحدى المسلمات المؤمنات اللاتى يعتبرن فخراً للدعوة الإسلامية التى كرمت المرأة واعترفت بحقها فى الحياة.

وحقيقة أخرى خصه الله عز وجل بها دون غيره من آل البيت، تنطق بها خِلْقَتُه، حيث تجمع كل المصادر التاريخية من سير وتراجم وأخبار قديمها وحديثها علَيها، وهى شدَّةُ الشَّبَه بجده الأعظم النبى ﷺ، حتى أُطلق عليه «الشبيهى» مقروناً باسمه، وفى ذلك يذكر الأسعد بن النحوى النسّابة، والرازى ما خلاصته: «أنه كان شديد الشبه بالرسول ﷺ».

ويضيف ابن النحوى ما يزيد التأكيد على هذا الشبه الشريف قائلا: «كان بين كتفى الإمام يحيى شامة بها شبه بخاتم النبوة، وكان إذا دخل الحمَّام فنظر الناس إلى هذه الشامة التى بين كتفيه كانوا يكبرون، ويكثرون من الصلاة على النبى ﷺ..».

وتستطرد هذه المصادر التاريخية فى روايتها حول موضوع هذا الشبه الشريف، حيث تسجل بأنه قد سمع الناس بذلك، بعد أن تناقل البعض الخبر، ومن هؤلاء الناس أهل مصر وأميرهم الذى أراد من جانبه أن يكون لمصر شرف التقرب إلى هذا الرجل الشريف، والتطلع إليه، فبادر بإرسال وفد من مصر مُحَمَّلاً بالهدايا والتحف إلى الحجاز، حيث كان يقيم يحيى الشبيهى وأسرته، راجياً تشريفه مصر بالزيارة، أو حتى الإستقرار فيها كغيره ممن سبقه من آل البيت.

وقد قبل الإمام يحيى الشبيهى الهدية، ولبى الرجاء بالزيارة وفى ذلك يصف ابن الزيات فى كتابه «الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة» قدوم هذا الإمام مصر قائلا: «ولما سمع أهل مصر بقدوم الإمام يحيى الشبيهى خرجوا إلى ظاهرها ليستقبلوه وكان يوم قدومه إلى مصر مع أسرته يوماً مشهوداً عند المصريين».

كذلك تذكر المصادر التاريخية الكثير عن كرامات هذا الإمام ومنها ماذكره ابن الزيات والسخاوى وغيرهما على لسان أحد الرواة، ويدعى أبا الذكر، بأنه كان يرى على قبر الإمام يحيى الشبيهى نوراً». إلى أن يقول: «دخلت قبر هذا الإمام فلم أحسن الأدب فسمعت صوتاً يردد من ورائى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

لذلك ينبه ابن الزيات فى كتابه إلى أنه ينبغى على الزائر لأى فرد من آل البيت أن يقرأ هذه الآية الكريمة التى سمعها زائر« قبر الإمام يحيى الشبيهى ».

بقى أن تعرف أن هذا الإمام مدفون بمصر كما تقرر الدكتورة سعاد ماهر فى كتابتها عن المساجد.

* * *

obeikandl.com